تعليمية اللغة في ظل التعدد اللغوي بالمنهاج المستجد للتعليم الابتدائي

هدوب شروق

المغرب

تقديم

تشكل مرحلة التعليم الابتدائي أحد أهم المراحل الدراسية التي تترك بصمة خاصة في حياة الفرد و المجتمع، إذ أنها مرحلة مصيرية في المسار الدراسي للمتعلم، يكتسب فيها القدرات و المهارات بشكل متدرج، يراعي وثيرة نموه الجسدي، ونضج شخصيته في أبعادها العقلية و النفسية و الوجدانية. وتضطلع اللغة بدور هام في هذه المرحلة ، فمن خلالها يستمد الطفل التمثلات والتصورات العقلية التي يكونها عن ذاته وعن محيطه، وتسهم بشكل كبير في تشييد المعالم النفسية و العقلية والوجدانية لشخصية المتعلم.

فاللغة أحد أهم مكونات الهوية الثقافية للأمم والشعوب، ومرتكز أساسي تقوم عليه العملية التعليمية التعلمية في مختلف المحطات والمراحل الدراسية، وهي أداة يقضي من خلالها الفرد حاجاته الاجتماعية ويناقش شؤونه ويستفسر عنها ويستوضحها، وبواسطتها يُؤثر الفرد في الأخرين ويستثير عواطفهم، ويؤثر على عقولهم ويستطيع إقناعهم. كما أنها تمثل ذاكرة التراث والحضارة، وتمتد من خلالها الجسور بين الأجيال الماضية والحاضرة.

ونظرا لهذه الوظائف المتعددة التي تضطلع بها اللغة، تحظى تعليمية اللغة بأهمية بالغة في المنظومة التربوية ، لما لها من دور في تنمية الكفاءات المعرفية لدى لمتعلمين ، وترسيخ القيم الوطنية والإنسانية لديهم، فهي وسيلة التعليم في تحقيق غاياته وأهدافه ، وهي مفتاح المعرفة ومدخل لكافة الكفايات المعرفية .

1-*واقع اللغة العربية بالمدرسة المغربية*:

تعد اللغة وسيلة للتواصل بين الشعوب، وأداة يقضي من خلالها الفرد حاجاته الاجتماعية ويناقش شؤونه ويستفسر عنها ويستوضحها، وبواسطتها يؤثر الفرد في الأخرين ويستثير عواطفهم، ويؤثر على عقولهم ويستطيع اقناعهم. كما أنها تمثل ذاكرة التراث والحضارة، وتمتد من خلالها الجسور بين الأجيال الماضية والحاضرة. وتمثل اللغة العربية لغة الكتابة والخطاب في العصر الحديث، فهي إحدى اللغات الست الرسمية عالميا، ولغة القرآن والبيان، واللغة القومية لجميع العرب، والمادة الخام للكتابة، وهي جزء لا يتجزأ من اللغة الاتصالية التي تقوم على عناصر متعارف عليها " المرسل، المرسل إليه، الرسالة والوسيلة ".

وقد "اقترنت حياة اللغة بالتواصل : فاللغة التي لا نتواصل بها ليس لها وجود . ويوشك أن يكون كل واحد منا على علم بأن حياة لغة ما يعني بقاءها مستمرة في دائرة التواصل و التداول، و أنها فناءها أو زوالها يعني شيئا واحدا ، هو خروجها من دائرة التواصل ."[1]

ومن المنظور التربوي يتفق معظم الباحثين على أن اللغة وسيلة للتواصل والتفاعل بين متحدثي هذه اللغة أو بين متعلميها ، فبواسطتها يقضي الانسان حاجياته الأساسية ومطالبه في علاقته بالبيئة التي ينتمي إليها، وباللغة ينسج الفرد علاقاته مع الآخرين ، وبها يتأثر بهم و

[1] – سمير شريف أستيتية ، ثلاثية اللسانيات التواصلية ، مجلة عالم الفكر ، العدد 3، المجلد 34، مارس 2006، ص 71

يؤثر في عقولهم ومشاعرهم، وقد جعل هاليداي استعمال اللغة مرتبط أساسا بمواقف الفرد التي يعيشها ويحتاج فيها اللغة لقضاء أغراضه ، فجعلها تتوزع بين وظائف نفعية وتنظيمية وتفاعلية وشخصية وشعائرية واستكشافية...[2]

و نظرا للأهمية البالغة لتعليمية اللغة منذ المراحل الدراسية الأولى ، عمل المغرب عبر مراحل مختلفة على اتخاذ قرارات تربوية و تعديل النماذج البيداغوجية التي من شأنها تجويد مستوى التحصيل الدراسي، وفي هذا الصدد عملت مديرية المناهج بوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة على تنزيل مقتضيات المنهاج المستجد بالتعليم الابتدائي.

ولعل أهم مستجدات هذا المنهاج المستجد هو اعترافه الرسمي بالتعدد اللغوي، وتثبيته وتوصيفه لهذا التعدد، حيث تدرس اللغة العربية بجانب اللغة الفرنسية والأمازيغية ضمن تصور لساني و تربوي وتواصلي موحد، يهدف إلى تنمية الكفاية اللغوية للمتعلم .

خاصة في ظل النتائج السلبية التي أفرزتها التقويمات الدولية والوطنية عن واقع اللغة في المدرسة المغربية، حيث تقوم هذه المراجعة التي خصت المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي بالأساس على هذه النتائج ، فقد كشفت هذه التقارير عن تراجع مستويات التحصيل الدراسي المرتبط بمجال اللغات، فأظهرت نتائج البرنامج الوطني لتقويم التحصيل الدراسي، قصور في مجال اللغات وتراجعها على مستوى التحصيل الدراسي. و كشف تقرير (PIRLS)[3] لسنة 2007 "أن المتعلم العربي لا يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية، وأرجع ذلك لعوامل ذاتية وأخرى موضوعية، وأبدى أسفه عن واقع اللغة العربية في المناهج التعليمية السائدة في الوطن العربي.."[4]، وهذه النتائج المقلقة هي نفسها التي أكدها تقرير اليونسكو الصادر مؤخرا عن واقع التعليم بالمغرب .

و قد كشفت وثيقة بيروت عن الاتحاد الدولي للغة العربية 2012 عن أهم أسباب تدني مستوى التحصيل الدراسي في مجال تعليمية اللغة، وأكدت أنه إذا كان هناك من سبب في صعوبة تعليمية اللغة فهو في نوعية المناهج التي توضع من قبل مختصين في اللغة يفتقدون للكثير من المعرفة في تصميم المناهج و بنائها، وليس لديهم إلمام بكيفية تأليف وانتاج كتب اللغة التي يجب أن توضع وفق معايير دقيقة تأخذ بعين الاعتبار الكفايات المطلوب تعلمها في الوحدة الدراسية اليومية وفي المقرر والبرنامج الدراسي والمرحلة الدراسية والعمرية للمتعلمين، بالإضافة إلى أن تصميم مناهج اللغة يتم بعشوائية ولا توجد آليات للتقييم والتطوير المستمر لتلك المقررات والمناهج وأساليب التدريس والتقييم، ودون الاستفادة من نتائج الاختبارات في تطوير اداء المتعلمين والمعلمين، كما أن المناهج التربوية والكتب المدرسية حسب ذات الوثيقة لا تبنى على خارطة لغوية تتكامل فيها المهارات والقدرات اللغوية.

2- مفهوم التعدد اللغوي:

إن التعدد اللغوي ظاهرة لغوية تنتج حينما تكون هناك أكثر من لغة في مجتمع معين أو في بيئة محددة. ويستعمل الأفراد في هذا المجتمع لغات مختلفة للتواصل والتفاعل. يمكن أن تكون هذه اللغات مستخدمة بشكل رسمي، مثل اللغات الرسمية للبلد، أو غير رسمي، مثل اللغات المحلية المتداولة بين الأفراد.

ويعرف على أنه: "الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا، والغرمانشة، والسوناي زارما، والتماشيق، والفولفولدة، والتوبو في جمهورية النيجر"[5].

---

[2] - أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة 2 ، 2005، ص 208.

[3] - pirls .Programme international de recherche en lecture scolaire /étude principale.2007

4-ينظر، اللغة و الوعاء الفكري، أحمد أوزي، مجلة علوم التربية ، العدد : 42، 2014.

[5] -محمد الأوزاغي ، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الأولى 2002، ص11.

غالبا ما يكون التعدد اللغوي متعدد المستويات، فقد يحدث على مستوى الفرد عندما يجيد الشخص أكثر من لغة، وقد يحدث على مستوى المجتمع أو الدولة عندما يستخدم الناس لغات مختلفة في حياتهم اليومية والتواصل مع بعضهم البعض.

فالتعدد اللغوي في" الأدبيات اللسانية عموما، واللسانيات الاجتماعية، وتعليمات اللغة خصوصا يشير إلى وضعيات تواصلية مختلفة، تختلف في اللغة المستعملة بحسب المقامات الاجتماعية، والأهداف والغايات التواصلية المرجوة، وهو سمة من سمات المجتمع الانسانئ المعاصر الذي صار(قرية كونية)[6].

يسهم التنوع الثقافي في المجتمعات الإنسانية إلى نشر التعدد اللغوي بشكل كبير، حيث يعيش الناس من خلفيات ثقافية مختلفة ويتحدثون بلغات متنوعة. كما أنه قد يكون نتيجة للتاريخ الاستعماري، حيث أدى التأثير الاستعماري إلى وجود مجتمعات متعددة اللغات.

إن التعدد اللغوي يمكن أن يكون مصدرا للغنى الثقافي والتفاعل الاجتماعي، وقد يسهم في تحسين الفهم بين الثقافات وتعزيز التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات المختلفة. إلا أنه قد يواجه أيضا تحديات في التواصل والتفاعل بسبب الفروق اللغوية، وقد يتطلب جهودا لتحقيق التفاهم والاندماج بين الثقافات المختلفة.

3-*التعدد اللغوي في المنهاج الدراسي المستجد للتعليم الابتدائي:*

يواجه نظامنا التعليمي المغربي تحديات كبيرة في عالم يتغير ويتطور على جميع المستويات، مما يفرض معها تغيير اتجاهات التعليم والتعلم، فكان لزاما إصلاح منظومة التربية والتكوين حتى تواكب المستجدات وتستوعبها، من خلال العمل على مراجعة المناهج والبرامج والطرق البيداغوجية المعمول بها حاليا، وأن تلتزم بالأسس والمرجعيات العالمية التي تحقق معايير الجودة الشاملة؛ فكانت هناك مجموعة من التجارب والنماذج والمحاولات المستمرة – التي على الرغم من أهميتها في مراجعة مناهج تعليم اللغة العربية – فهي لا تزال غير فاعلة في تنمية مهارات التفكير النقدي للمتعلم، وإعداده نفسيا ومعرفيا لمواجهة الحياة ومتغيراتها، أو أن هذه البرامج لم تحقق أفق انتظار الجهات الوصية ..

ولعل مرحلة التعليم الابتدائي من أهم المراحل التي تترك بصمة خاصة في حياة الفرد والمجتمع، إذ أنها مرحلة مصيرية في المسار الدراسي للمتعلم، يكتسب فيها القدرات والمهارات بشكل متدرج، يراعي وثيرة نموه الجسدي، ونضج شخصيته في أبعادها العقلية والنفسية والوجدانية. لذا ينبغي تنويع الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية التعلمية، مع مراعاة الفروق الفردية القائمة بين المتعلمين عند بناء الوضعيات التعليمية التعلمية، وعند اختيار الأنشطة والمعينات الديداكتيكية المناسبة لها .

إن الدعوة لبناء مناهج منفتحة تستجيب لحاجات المجتمع المغربي، تفترض الوعي بأهمية التجديد لمواكبة التطورات التي يشهدها العال ، وبأهمية استثمار ذلك على المستوى الديداكتيكي، من أجل تفعيل التعليم والتعلم، وتجويد مردوديته في مختلف المستويات.

ويشكل المنهاج في العملية التعليمية التعلمية وسيطا معرفيا بين المعلم والمتعلم، فهو مجموع الخبرات والموارد المراد تبليغها لمتعلم معين في مستوى تعليمي محدد، وهو الوثيقة التربوية التي تجسد مجمل المعارف والخبرات التي يتعلمها التلاميذ بتخطيط المؤسسة التعليمية وتحت إشرافها، فالمنهاج التعليمي خطة شمولية تتكامل فيها عناصر عدة تسعى كلها إلى تحقيق عملية التدريس، وهذه الخطة تستمد معطياتها في الأصل من عدة أسس يرتبط بعضها بما هو فلسفي عام يوجه نحو الانطلاق من نموذج الإنسان الذي يستهدف تكوينه، و أيضا وربما في نفس الوقت من نموذج المجتمع الذي سنعلم الأطفال له وداخله. ويرتبط بجزء رابع بالمعرفة التي تنتجها العلوم على اختلافها، والتي يتعين ألا تتعارض المناهج التعليمية معها إعدادا وتنفيذا.

6-عمر بوقمرة، التعدد اللغوي –قراءة في المصطلح و المفهوم و المظاهر– ،مجلة الصوتيات، العدد 19 ،ص102.

ونظرا للأهمية البالغة التي يحظى بها المنهاج التربوي في العملية التعليمية كان لزاما على الجهات الوصية إعادة النظر في المناهج والبرامج المخصصة لتعليم اللغة، فجاءت وثيقة مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي بتصور مستجد يراعي التعدد اللغوي في البرامج الدراسية المقررة لمتعلمي السلك الابتدائي.

الجدول 1 : توزيع المواد حسب المجالات الدراسية

المجال الدراسي	المواد
مجال اللغات	اللغة العربية / الأمازيغية / اللغة الفرنسية / اللغة الإنجليزية
مجال الرياضيات و العلوم	الرياضيات / النشاط العلمي
مجال التنشئة الاجتماعية و التفتح	التربية الإسلامية / الاجتماعيات / التربية الفنية / التربية البدنية

و من الملاحظ أن أهم التغيرات التي لحقت المنهاج في صيغته الجديدة تتمثل بالأساس في تقسيم مضامينه وفق ثلاثة أقطاب معرفية: قطب اللغات ، وقطب الرياضيات والعلوم، وقطب التنشئة الاجتماعية والتفتح ، مع إيلاء أهمية خاصة لقطب اللغات والتي تظهر جلية في الغلاف الزمني المخصص لهذا المجال في مقارنته مع باقي المجالات .

وقد حرص المنهاج الجديد على ترسيخ التعدد اللغوي من خلال الرفع من عدد اللغات المقررة في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، حيث تم إدراج اللغة الفرنسية كلغة ثانية ابتداء من السنة الأولى من التعليم الابتدائي عوض السنة الثالثة التي كانت معتمدة من قبل بغلاف زمني يبلغ أربع ساعات أسبوعيا للسنة الأولى، مع تدريس القراءة وكتابة الحروف والمقاطع والكلمات باعتماد الطريقة المقطعية منذ السنة الأولى، كما تم إدراج اللغة الأمازيغية بغلاف زمني يبلغ ثلاث ساعات أسبوعيا لكافة المستويات التعليمية.

جدول 2: التعديلات التي طرأت على مجال اللغات في المنهاج المستجد[7]:

المستوى	اللغات	الغلاف الزمني		
		العربية	الفرنسية	الأمازيغية
المستوى الأول	العربية–الفرنسية– الأمازيغية	10ساعات	ساعتان	3ساعات
المستوى الثاني	العربية–الفرنسية– الأمازيغية	9ساعات	3ساعات	3ساعات
المستوى الثالث	العربية–الفرنسية– الأمازيغية	7 ساعات	5 ساعات	3ساعات
المستوى الرابع	العربية–الفرنسية– الأمازيغية	5ساعات	5ساعات	3 ساعات
المستويين الخامس والسادس	العربية–الفرنسية– الأمازيغية.	6 ساعات	6ساعات	3ساعات

ومن الملاحظ أن اللغة العربية في المنهاج المستجد تحظى بأهمية خاصة في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، حيث تغطي حصص اللغة العربية في السنوات الأولى عشر ساعات أسبوعيا ، على اعتبار أنها و حسب الرؤية الاستراتيجية " رافعة قائمة بذاتها ومرتبطة ارتباطا عضويا بالنموذج البيداغوجي المعمول به " و خيار بيداغوجي و تربوي سار عليه المغرب وراهن عليه في جميع الإصلاحات التربوية التي تعاقبت على المنظومة التعليمية، مع الأخذ بعين الاعتبار الاتساع المتزايد لنفوذ اللغة العربية في العالم، و تنامي الاشتغال بعلومها، وارتفاع الطلب على تعليمها وتعلمها.

7–وزارة التربية الوطنية ،مستجدات المنهاج المستجد للتعليم الابتدائي ، مديرية المناهج ، يوليو 2020ص 57.

وفي تعقب للتغيرات التي لحقت قطب اللغات بالمنهاج المستجد نجد أنه تمت الإشارة كذلك إلى تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية بالبرامج الدراسية للسلك الابتدائي ابتداء من السنة الرابعة على المستوى المتوسط.

ويستهدف هذا التعدد اللغوي في المنهاج المستجد بناء الجسور بين اللغات المدرسة ، من خلال:

اعتماد كفايات موحدة ومكونات دراسية موحدة تتمحور حول أربع مهارات كبرى الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، ووحدات وتيمات دراسية موحدة تنطلق من ذات المتعلم في محيطها المباشر المحلي والوطني لتتسع الى أن تبلغ سياقات وتيمات أكثر انفتاحا، مع تسطير أهداف وقدرات ومهارات تواصلية موحدة ومتنامية في منهجية اكتسابها ومراعاة التوزيع المتدرج والموحد للنصوص بين كافة اللغات المدرسة .

خلاصة:

يشكل التعدد اللغوي بالمغرب مسألة تاريخية مرتبطة بسياقات ثقافية و سياسية متباينة، فالحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع ،يتطلب وضع سياسة لغوية تحتل فيها اللغات الرسمية و الوطنية المعبرة عن هذه الهوية مركز الصدارة ، و إحداث تغيير في نموذج تعميم لغات التمدرس و اللغات الأخرى (الأمازيغية ، الفرنسية ، الإنجليزية ..)، " فلا يمكن مواجهة التحدي إلا عبر إعداد منهاج للتربية على التعدد اللغوي و الثقافي ، يركز على المتعلمين و على سجلاتهم اللغوية ، و يحسن التفكير الميتالغوي ويستثمر الاستراتيجيات التعلمية و التواصلية للمتعلمين."[8]

وقد كشفت الأبحاث العلمية و التطبيقية في مجال تدريسية اللغات أن إعداد مناهج تراعي البعد التكاملي للغات، يقوم على أساس تطوير قدرات المتعلمين في لغة معينة واستثمار ذلك في تطوير كفايات جديدة في لغات أخرى، أي أن إعداد هذا النوع من المناهج يستدعي وضع قطيعة مع الحواجز التقليدية في تعليم اللغات، واعتماد تعليم تكاملي غير منفصل لجميع اللغات المدروسة .

ولعل المنهاج المستجد للتعليم الابتدائي قد سار على هذا النحو من خلال اقراره للتعدد اللغوي كخيار بيداغوجي يهدف الى تنمية القدرات اللغوية لمتعلمي السلك الابتدائي إلا أن اعتماد هذا التعدد اللغوي في مراحل التعليم الأولى، يستدعي تنزيل استراتيجيات تتعامل مع اللغات المقررة بتصور تكاملي ينحى بالمتعلمين بعيدا عن التعصب اللغوي والأحادية اللغوية التي ارتبطت بمجال تعلمية اللغة بالمغرب لمدة طويلة .

[8]–التعدد اللغوي و تجديد المناهج ، ندوة دولية ، جامعة محمد الخامس الرباط ، كلية علوم التربية ، فريق علم نفس التعلم ، علوم التربية و التقييم ماي 2016

المصادر و المراجع:

- أحمد أوزي ، اللغة و الوعاء الفكري، ، مجلة علوم التربية ، العدد : 42 ،2014.
- أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة 2 ، 2005.
- التعدد اللغوي وتجديد المناهج ، ندوة دولية ، جامعة محمد الخامس الرباط ،كلية علوم التربية، فريق علم نفس التعلم ، علوم التربية و التقييم ماي2016.
- سمير شريف أستيتية ، ثلاثية اللسانيات التواصلية ، مجلة عالم الفكر ، العدد 3، المجلد 34، مارس 2006.
- عمر بوقمرة، التعدد اللغوي –قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر–، مجلة الصوتيات، العدد 19 .
- محمد الأوزاغي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الأولى 2002.
- وزارة التربية الوطنية، مستجدات المنهاج المستجد للتعليم الابتدائي ، مديرية المناهج ، يوليو 2021.